

# ما الذي قد يكتبه أسيرٌ مثلي، عن حر كمحمد سلطان؟

كتبه سمية فادي | 10 مارس, 2015



يقول درويش: “وأنت تعد فطورك فكّر بغيرك، وأنت تنام وتحصي الكواكب فكّر بغيرك! ثمة من لم يجد حيزًا للنمّام وأنت تحرّر نفسك بالاستعارات، فكّر بغيرك من فقدوا حقهم في الكلام!”، ويجول فكري بشأن غيري ممّن لا يملكون حق الطعام، حق المنام، حق النفس حق! والفكر فيهم يُوجع أيما وجع، يوجع مُترقًا مثلي يتدقًا بثيابٍ ثقيلة، وينام على فراش لين، ويرى السماء، ويدب على الأرض متى شاء، أن تمشي، أن تقوى على النهوض من فراشك والمشى في أيّ اتجاهٍ، هذا ما لا يملكه مُحد سلطان! ما الذي قد يكتبه أسيرٌ مثلي، عن حر كمحمد سلطان؟!

منذ أشهر وقفت الفتاة الإيرانية ریحانة - التي أُعدمت لأنها قتلت مغتصبها - وهتفت: “العالم لا يحبنا يا أمي؛ لذا سياتركني أعدم”، وصمّت العالم كله! ثم مجددًا صمّت العالم حين هتف مُحد وقال: “ألا تعني حياتي شيئًا بالنسبة لكم؟! هل أصبحت حياتي بلا قيمة كمواطن أمريكي، فقط لأنّ اسمي مُحد؟!”.

فقط لأنه مُحد، فلن يلتفت له العالم، ربما لو كان - كما قال - يملك شعرًا أشقر وعيونًا زرقاء، لقامت الدنيا ولم تقعد كما حدث مع زملائه في المواطنة الأمريكية الذين تم اعتقالهم لدى نفس العسكر عام

يقول درويش أيضًا: “وأنتك حرّ وحيّ حين تُنسى!”، سلطان حرّ بلا شك رغم نسياننا، لكن .. هل هو حي؟! نحن ننسى، ونمضي ونثرثر وننظر ونياس وننعزل ونكتتب، ومُجد ثابت لا يتزعزع، يُضرب كليًا عن الطعام ثم يحتجّ جسده ويرفض الإضراب ولا يُغيره مُجد اهتمام، يضيق به جسده حتى الدماء في عروقه تكفّ عن مطاوعته، تتجلّط في رثيته ويصبح النّفس عسيرًا عليه إلى حدٍ بعيد، ومُجد يكمل إضرابه غير مكترث، تناشده عائلته بأن يرفق بنفسه، ثم .. بضجرٍ وبعد عدة جلطات وإغماءات، يشرب الماء جسده، لا يزال يأن ويذبل أمامه، يدرك مُجد جيدًا أنه يمضي إلى حتفه، يغازله الموت كل عشية، يطلّ برأسه السوداء عليه ويقول: ها يا هذا أي جزء منك ستعطيني الليلة لألتهمه؟، يبتسم مُجد - وهو لا يقوى على الابتسام - للموت بسخرية، وتتحرك شفثاه يحاول أن يهمس، تخرج الحروف متقطعة متباعدة عن بعضها البعض، لكنها مفهومة: ” أ ن ا .. حُر ر “، يفتاظ الموت ويصفع باب الزنزانة، ويمضي حانقًا على صاحب البضع وعشرين عامًا، كيف يزاول الموت ولا يهابه؟!

“تكبير” هي الجملة التي نقولها ونبتسم حين يمر بخاطرنا طيف والد مُجد، الدكتور صلاح سلطان، “تكبير” يهتف بها، فيهتز الميدان بجنابته، يكبر الناس وتكبر الأرض ويكبر الشجر والحجر كخلقٍ من خلق الله، يقف بجوار ولده في المحكمة ويضع يده على جبهته، يسحب مُجد يد والده ويقبلها ويستمد منها قوته، ويضعها الوالد مجددًا على جبهته ويعيده بكلمات الله التامات، ويكبر ويهمس له: “الله أكبر الله أكبر من أن يؤذيني في فلذة كبدي، الله أكبر من كل ظالم”، ويهتزّ عرش الظالم بتكبيره، ويكبر الحجر والبشر ويكبر باب الزنزانة الذي بات شاهدًا على ما يرضيه، ويكبر من يسمع تكبيره؛ لأنهم خلق من خلق الله، إلا السجان فلا يعرف الله ابتداءً، يصرخ فيهم “ولدي يذوي ولدي قد نقص وزنه بشكل مريع”، وهم كذلك يا سيدي، قد نقصت إنسانيتهم بشكلٍ مريع، يقول “أحمّلكم مسؤوليته أمام الله”، وهم يا سيدي لا يعرفون الله أصلًا، يبحث عندهم عن بقايا إنسانية، وهو يعلم أنه يحدث داعرًا ليطلب منه العدل، يظن أن الإنسانية قاسم مشترك بين كل بني جلدته، ويثبتون هم أن الحيوان يرحم ويحس أكثر مما يحس القاضي الذي اختاره الله بغضًا له لظلم مُجد ولهدم الإنسان الذي هو بنيان الله في أرضه، ملعون من هدمه، واختاره ليحكم على صحفي الجزيرة بالسجن عشر سنوات، واختاره لظلم خلق كثير، ثم اصطفاه ليفضحه في الدنيا بفضيحة أخلاقية، وعسى أن يبلغه الله قعر جهنم.

أنت تخيفهم يا مُجد! أيّ رضى من الله يتنزل عليك؟! وأيّ قوة ينفخها من روحه في روحك لترهبهم، فتقيّد يدك للسريبر، وأنت أصلًا لا تقوى على الحراك؟! تطل علينا صورة مُجد وهو ثابت لا يتزحزح، يحاول سجان الضغط عليه، يحاول دفعه للجنون! عزله في السجن الانفرادي، منعه من رؤية والده، يضغط النظام القذر بكل ما أوتي من قوة ليصبح مُجد مجرد رقم، مجرد مسجون عادي ككل المساجين، تخرج لنا الصورة بعد عام ونصف من إضرابه ممددًا على سرير السجن يتسلل من فمه خيطٌ رفيعٌ من الدم ليلطخ الوسادة، ويلطخ وجوهنا جميعًا بلا استثناء، ليهمس في آذاننا: كلكم مذنبون، لا استثنى أحدًا سواءً بالمشاركة أو بالصمت العاجز الموافق قليل الحيلة .. كلنا مذنبون!

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/5774>